

اتفاق لإنهاء حروب العواصم والنخب في اليمن



علاء الدين البردوتي - اليمن

مرويّات

في طول المنطقة العربية وعرضها خراب تجاوز التعارف عليه، ووصل الى حد الجنون. ولكنّ في طول المنطقة وعرضها أناساً يرفضون هذا الخراب. بعضهم يفعل بوعي متكامل، وبعضهم الآخر يفضل الغريزة الإنسانية. بعضهم يتمسك بحلول وأخرون يعبرون عن يأس من تغيير الحال. ولكن أول المقاومة هو رفض الامتثال للخراب والتأقلم معه. وهؤلاء، على تنوعهم، نقطة الضوء وسط بحر الظلمات الطبق

الخراب المجنون

عنبر الأمراض الباطنية في مستشفى الإسكندرية الجامعي الحكومي

«الكان القدر ابن الوسخه ده، كان السبب في إني قررت بشكل تعائي وقاطع إني أسبب الطب وممارسته لأبد». هيلم كان طبيبياً يُزاوِل مهنته في هذا المكان. يقول: «عمري لن أنسى رائحة الموت والتقيؤ والعفن التي تتسّح من كل ركن فيه. كنت أدخل المكان صباحاً أو ليلاً فأشعر أنني داخل قبر. في هذا المكان رأيت أنساً يموتون بسبب الإسهال والتأخير واللامبالاة، والشّرَاحِيتا كثيرة. أذكر أنني في ليلة كنت فيها طبيب الامتياز السهران، مات أمامي 12 رجلاً وامرأة في أعمار مختلفة بسبب لا مبالاة النائية المشرفة علي وعلى العنبر.

وصلت لدرجة أنني ساعتها كنت مقتنعاً بأن الست قصدت قتلهم من أجل إفراغ بعض الإسرة. لاحقاً ما فهمته هو أنّ الست (كانت من البنات «دهاي كلاس») تمّت محاكمتها وفضلها.

ولكنها الآن عادت لتعمل كعديسة مساعداة في القسم.

في ليلة من الليالي الكئيبة، النائية ذاتها طلبت مني أن أدخل وأسحب سوائل الجهاز التنفسي لمرضى، وذلك عبر استخدام شفاط مخصص لهذه العملية. لكنّي اكتشفت لاحقاً أنّ المرضى

كان مشكوكاً في إصابته بالسل، من دون أن تقوم بتبنيهي أو أن تطعنين علاجاً وقائياً. في ساعتها «سبيت ميت مله وقررت ما أروحش مرة ثانية». وبقيت لمدة شهر أخذ مضادات حيوية.

في هذا المكان كانت أجلامي في حياة كريمة تقدّم، وكل طموحاتي في الطب والنجاح وأنبأت النفس تنتهي إلى الأبد. كان أقصى أملي في كل ليلة أن يطلع النهار وأخرج من هذه التربة. لكن النّير هو أنّ هذا المكان شهد قصة حب «معلمه في قلبي» بذكرياتها الغريبة والمختلطة بالفرح والنأس وكسرة القلب التي ما زال طعمها في حلقي. اليوم قررت زيارة كليتي القديمة والمستشفى في اسكندرية، وتفاعت بآتي ما زلت أشعر أنه لو كان مكان في العالم أنا أكرمه أكثر من أي شيء فهو هذا العنبر الحفيري.

ما زلت أذكر وجوه كثر من الناس الذين ماتوا وكنت أنا آخر من

15 | 1

«الفكر الفلسطيني الاقتصادي من صامد الي صمود الي سلام»، الجزء الثاني من البحث في صعود الفكر والممارسة الاقتصادية للفلسطينيين وسقوطهما. وفي سوريا حياة أدبية عبر أقل الدروب توقّعاً.

متابعاً للحدث اليمني، نصاب: تفجير أنبوب النفط عنوان المرحلة الانتقالية، والحوثيون من جماعة محاصرة الي جماعة محاصرة. وفي «الزاوية الحمراء» كيف يبيع المندوب للزيون الجنة.

الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي يفتت الجغرافيا ويضائل التاريخ معاً، وهو جانب أساسي وضروري من أليات السيطرة. وفي «بألف كلمات» كاريكاتور يرصد «محاربة الفساد».

تتكون الطبقة السياسية اليمنية من نخب متصارعة، تشكل كل منها دولة داخل الدولة، ولكل منها جيشها أو مليشياتها، ووسائلها الإعلامية ومؤسساتها المالية والتعليمية، و«عاصمتها». فمدينة عمران كانت منذ عام 1963 حتى سقوطها في يوليو/ تموز 2014 بيد أنصار الله (الحوثيين) عاصمة لشيوخ قبيلة حاشد وحلفائهم العسكريين والسياسيين، وكانت مدينة صعدة منذ عام 2004 (ولآترال) عاصمة جماعة «أنصار الله». ولكل منها ثورتها، فعلي عبد الله صالح يدّعي أنه

ثورة الحوثيين وانقلاب الجنرال

نظمت «حركة أنصار الله» أعمالاً احتجاجية بعد إعلان الحكومة في 30 تموز / يوليو 2014 عن رفع الدعم عن المشتقات النفطية، تحولت بعد ذلك إلى وصفها بالثورة الشعبية، وقال زعيم الحركة، عبد الملك الحوثي، أنها سوف تخضع لبرنامج تصعيدي ينتهي بإجراءات مؤلّة للسلطة، وهو ما تحقق في 16 أيلول /سبتمبر الجاري، حيث اندلعت مواجهات مسلحة في المنطقة الشمالية الغربية من العاصمة صنعاء بين ميليشيات الحركة وبعض وحدات الجيش. بعد أربعة أيام من القتال، نفذ الجنرال علي محسن الأحمر ما يمكن وصفه بمحاولة انقلابية ضد الرئيس هادي حيث انتقل إلى مقر المنطقة العسكرية السادسة (الفرقة الأولى مدرع سابقاً التي كان يقودها قبل عزله من قيادتها وتعيينه مستشاراً لرئيس الجمهورية لشئون الدفاع والأمن عام 2012). ولم يمثل لتوجهات رئيس الجمهورية ووزير الدفاع، وقاد المعارك في مواجهة الحوثيين بنفسه، إلا أنه لم يحقق أي انتصارات، وتمكن الحوثيون خلال يومين من السيطرة على معظم مبانى مؤسسات الدولة الكبرى في العاصمة صنعاء، مما فيها مبنى التلفزيون الرسمي ومبنى الإذاعة ورئاسة الوزراء والقيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الدفاع والبنك المركزي اليمني علاوة على معسكر المنطقة العسكرية السادسة أياها. أعلن مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة لليمن مساء 20 أيلول / سبتمبر الجاري عن التوصل إلى اتفاق لحل الأزمة الحالية في اليمن بناء على مخرجات مؤتمر الحوار الوطني. ووصف الاتفاق بأنه «يشكل وثيقة وطنية تدفع بمسيرة التغيير السلمي، وترسخ مبدأ الشراكة الوطنية والأمن والاستقرار في اليمن». بعد ذلك بيوم، وقّع على الاتفاق ممثلان عن أنصار الله، وممثل واحد عن كل من التجمع اليمني للإصلاح والمؤتمر الشعبي العام والحزب الاشتراكي اليمني وحزب الرشاد وحزب العدالة والبناء والحراك الجنوبي الديمقراطي والتجمع الوحدوي اليمني وحزب البعث. وضم الاتفاق عدداً من البنود منها: تشكيل حكومة كفاءات، تخفيض ألف ريال من ضمن كل صفيحة بـزرين أو سولار، وتشكيل لجنة اقتصادية لدراسة وتنفيذ مخرجات الحوار حسب جدول زمني، إعادة النظر في تقسيم الأقاليم.

تنفيذ الكره

قَبِل التجمع اليمني للإصلاح بالاتفاق والتوقيع عليه تحت وقع الهزيمة العسكرية، وهناك دعوات من بعض أعضائه لعدم مشاركته في الحكومة القادمة. فأثناء انعقاد جلسة التوقيع على الاتفاق، دعا الشيخ محمد الإسم التجمع اليمني للإصلاح إلى عدم المشاركة في الحكومة، والتحول إلى العمل الاجتماعي في أوساط الجماهير، وهو ما تضمنته رسالة القيادي في التجمع، زيد الشامي، في رسالة لأعضاء حزبه اختتمها بقوله: «عودوا إلى ميادين التزية والتوجيه والعماء، أعطوا أنفسكم فسحة من الوقت للمراجعة والبناء الداخلي». فضلاً عن ذلك، فإن الأسلوب الذي

قدم به محمد سالم باسندوة (المحسوب على حلفاء التجمع اليمني للإصلاح) استقالته يصب في هذا الاتجاه، حيث قدمها إلى الشعب اليمني، وليس لرئيس الجمهورية وفقاً لإجراءات الدستورية، فقال في مقدمتها: «يا أبناء شعبنا العظيم، لقد قررت أن أتقدم إليكم باستقالتي من رئاسة حكومة الوفاق الوطني انطلاقاً من حرصي الشديد على أن أتيح لأي اتفاق يتم التوصل إليه بين الإخوة قيادة جماعة أنصار الله وبين الأخ عبد ربه منصور هادي (رئيس الجمهورية) الفرصة كي يجد طريقه إلى النفاذ بأسرع ما يمكن، وكى لا يكون بقايتي في موقعي عائقاً أمام تشكيل حكومة وطنية جديدة من خيرة الكفاءات التي تتحلل بالولاء للوطن والنزاهة، علها تستطيع تحقيق كل ما تصبون له، وقيادة البلاد إلى بر الأمان بإذن الله... ما يشير إلى أن باسندوة والتحالف الذي يواليه ينظرون إلى الاتفاق باعتباره اتفاقاً بين أنصار الله ورئيس الجمهورية، ولا يعتبرون أنفسهم طرفاً فيه، وهم بالتالي غير ملزمين بمضامينه. وتقديم الاستقالة للشعب وليس لرئيس الجمهورية يعني أنه لا يعترف بشرعية رئيس الجمهورية، وهو ما يتوافق مع ما كان الشيخ حميد الأحمر قد طرحه قبل ذلك من أن إقالة رئيس الوزراء يعني انتهاء شرعية رئيس الجمهورية. وقد وضع صفته كرئيس جمهورية بين قوسين، وأشار في نهاية الخطاب إلى انفراد رئيس الجمهورية بالسلطة، وعدم إشراكه في التحضير للحوار الوطني.

الرابحون والخاسرون

تم التوقيع على الاتفاق بعد تحقيق حركة «أنصار الله» انتصاراً عسكرياً كاسحاً على خصومها، لذلك جاء الاتفاق ملبياً لكل شروطها، وحقق لها مكاسب سياسية على المستويين المحلي والوطني دون أي التزامات مقابلة، فمخيمات الاعتصام سوف تستمر حتى تشكيل الحكومة، وتم تأجيل التوقيع على الملحق الأمني، واستطاعت الحركة انتزاع قرار إعادة النظر في تقسيم الأقاليم، ما يعني أنها سوف تحقق رغبتها في ضم محافظة حجة إلى إقليم أزال الذي تسيطر عليه، ما يوفر له منفذاً بحرياً (ميناء ميدي) على البحر الأحمر، فضلاً عن عدد من البنود التي تضمن مشاركة الحركة في السلطة حصصاً تتساوى حصص القوى السياسية الكبرى الأخرى، من خلال تعيين أحد كوادرها مستشاراً لرئيس الجمهورية (أسوة بتعيين ياسين سعيد نعمان والبدوي والمعتواي ورشاد العليمي، الذين عينهم الرئيس مستشارين له بعد ثورة شباط/فبراير). وأعضاء في مجلس الشورى، والمشاركة في التحضير للسجل الانتخابي الجديد ومراقبة الانتخابات، والرعاية على تنفيذ مخرجات الحوار الوطني، الإشراف على لجنة صياغة الدستور. هذه المكاسب السياسية تعني أن أنصار الله باتوا يملكون قوة سياسية رئيسية، تتساوى مع القوى السياسية الأخرى. أما الطرف المتصور هادي، وهذا هو السبب في وصف رئيس الوزراء المستقبل الاتفاق بأنه اتفاق بين أنصار الله

والرئيس هادي. فالاتفاق يعزز قوة وسلطة الرئيس هادي ويحرره من تأثير مستشاره لشئون الدفاع والأمن الجنرال علي محسن الأحمر، ومن التجمع اليمني للإصلاح الذي كان يستطيع عبر حلفائه فرض الكثير من التعيينات عليه. وفضلاً عن ذلك، منحه الاتفاق سلطة اختيار وزراء الدفاع والداخلية والخارجية والمالية، ما يحرره من ضغوط المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح الذين كانا يتمتعان بسلطة تعيينهم وفقاً للمبادرة الخليجية.

في المقابل، فإن الجنرال علي محسن الأحمر وآل الأحمر، مشايخ حاشد، يحتلون المواقع الأولى على قائمة الخاسرين من نتائج الحرب وتوقيع اتفاق إنهاء الأزمة. فكل المؤسسات التي شكلها هؤلاء لن يكون لها دور سياسي خلال الفترة القادمة، كهيئة أنصار الثورة والمجلس الوطني لقوى الثورة الشبابية الشعبية، وحزب التضامن الوطني.. بل أن الجنرال الأحمر والشيخ صادق الأحمر وأخوته لا يُعلم ما هو مصيرهم الآن، إذ هناك أخبار تقول أنهم غادرو اليمن إلى السعودية أو إلى قطر، أو أن هناك ترتيبات لإخراجهم من اليمن مقابل ضمان سلامتهم، ما يعني خروجهم نهائياً من معادلة توزيع القوة في البلاد. وإلشك أن خروجهم من الساحة السياسية سوف يؤثر سلباً على النفوذ السياسي للتجمع اليمني للإصلاح، الذي اعتمد عليهم خلال العقود الثلاثة الماضية، فشكوا أحد عوامل قوته.

وتحالفات تكتيكية

أشيع منذ بداية حرب محافظة عمران بين أنصار الله وخصومهم، أن هناك تحالفاً بينهم وبين الرئيس السابق علي عبد الله صالح. وأنه أمدهم بالسلاح والمال، وأن كثيراً من شبوخ القبائل وأتباعهم المواليين للرئيس السابق شاركوا في الحرب إلى جانب الحوثيين.. ويبدو أن هناك مؤشرات على صحة هذه الإشاعات، جزئياً على الأقل، ولكن يبدو أن هذا تحالف تكتيكي أنخرط فيه الطرفان، وبالتالي فإن أنصار الله والأطراف الأخرى الموقعة على الاتفاق لن يقبلوا بأن يجني علي عبد الله صالح أي مكاسب إضافية منه، باستثناء مكسب الثأر من خصومه السياسيين والعسكريين (التجمع للإصلاح، والجنرال علي محسن الأحمر، وآل الأحمر شيوخ قبيلة حاشد).

وهكذا، ومع التقاطع بين المشهد العام بكل توازناته وتلك التكتيكات والخصاصات، يظهر أن اليمن تنتقل اليوم الى مرحلة جديدة، محطة يمكن التاريخ بها، تضاف الى محطات مسار حياة البلاد السياسية الشائكة والمصطخبة. فيما أن تدهش مرحلة جديدة لبناء دولة مدنيّة ديموقراطية حديثة، تقوم على المواطنة المتساوية وإنفاذ القانون، كما طمحت إلى ذلك ثورة 2011، وكما تعهدت المرحلة الانتقالية، أو تستمر لعبة الكراسي الموسيقية (ولكن بموسيقى عسكرية) بين القوى السياسية.

عادل مجاهد الشرجي

أستاذ علم الاجتماع بجامعة صنعاء

تفنيص + زعبرة (*)

يقول الرئيس اردوغان ان الدولة لا تدار كصحل بقالة، وهناك أسرار يجب احترامها. فلنفض النظر عن التعالي والنزق في طلعتة تلك بوجه من يطالبه بكشف كيفية نجاحه في إطلاق سراح 49 ديبلوماسيا تركيا أوقفتمه «داعش» في الموصل منذ 10 حزيران/ يونيو، وعودتهم المفاجئة إلى بلادهم، نساء ورجلاً وأطفالاً، ساليين، موفوري الصحة والأناقة، في طائرة بصحبة رئيس الوزراء أحمد داوود أوغلو... فلنفض النظر عن تصريحات الأخير نفسه من على سلم الطائرة عن «السر» (مجدداً)، وعن «قوة جهاز الاستخبارات التركي»، الذي «حرر» أسرى كانوا بحسبه موزعين على ثلاثة مواقع (وهي تفاصيل لمزيد من التفنيص)، مما يعجز عنه جيمس بوند في أقوى أفلام الخيال العلمي التي طبعتم أسطورته. ويؤكد الرجلان: بلا فدية وبلا أي مقابل سياسي أو معنوي. عجيبه إذًا، تخالف كل ما عُرف حتى الآن من سيرة الخطف والإحتجاز والمقايضات.

حسناً، فلنطلب إذاً من الاستخبارات التركية التدخل لإطلاق سراح الجنود اللبنانيين الأسرى لدى داعش والنصرة قبل أن تفكك قصتهم بالبلاد. ولهم بالمقابل من كل اللبنانيين، رسميين وعموم، الإعجاب والتأييد لإمبراطوريتهم النيوعثمانية الناهضة على جنبنا فليتدخلوا لإنقاذ العراقيين وكذلك السوريين الذين يفرّون من قصف الأميركيان ودولهم والدولة الإسلامية على حد سواء. ليتدخلوا لتغيير الوجهة التي يأخذها التاريخ هنا، فيسطع نجمهم، ويصبحوا البديل للنظر في مقابل الفراغ القائم. «القصّة» ينطبق عليها (ولو بإبتدال) تعريف (story telling) وتقنياته المستخدمة بقوة في صناعة المشهدة السياسية الأمريكية خصوصاً (كيس «الأسلحة الفتاكة» الذي لوح به كولن باول في الأمم المتحدة، ويوش الابن يعلن من على ظهر السفينة «أبراهام لينكولن» أن «الهمة أنجزت»، وعشرات القصص الأخرى التي تستدعي هوليوود... غير الوعيدة هي الأخرى عن أجهزة الاستخبارات).

«بعض الظن أثم» بالطبع، لكن «القصّة» توقف شهبات التواطؤ التي تطال تركيا وسواها، إلا إذا ارتضينا أن تعامل كمغفلين. وبينما صرايح وطائرات «التحالف الدولي» تستدمر ما تبقى من مدن وقرى العراق وسوريا بحجة تدمير داعش، ستكون مغفلين حقاً لو لم ندعُ السلطات التركية لقيادة ذلك التحالف الدولي كما ترى. ونفد بكم أسللتنا وفضولنا، وستنذكر أننا لسنا في محل بقالة.

* مفردتان من اللهجة العامية لأهل الشام (!) تعني تقريبا التباهي الفارغ والاحتفال.

نهلة الشهال

المرحلة الإنتقالية في اليمن

تفجير أنبوب النفط هو العنوان

يستخفّ اليمنيون أفراداً وجماعات بالهجمات المنظمة التي تستهدف البنية التحتية للاقتصاد، حتى بات ضرب أبراج وخطوط نقل الكهرباء أو تفجير أنبوب النفط الرئيسي خيراً عادياً لا يثير استغراب وقلق المواطنين العادي ولا يُسَخِط الحكومة، على الرغم من أنه السبب الأول في ارتفاع عجز موازنة الدولة وتفاقم الأزمة الاقتصادية التي يعيشها اليمن.

يتكرر هذا بشكل شبه أسبوعي منذ ثلاثة أعوام: يتم إصلاح الأنبوب في منطقة صافر، فيتم تفجيره بعد أسابيع أو أيام في منطقة صراوح، تعود لجنة الوساطة إلى صنعاء، بعد نجاحها في إقناع قبائل عبيدة بالسماح للفریق الفني بإصلاح الأنبوب، فيتوجب على الحكومة إرسال لجنة وساطة أخرى للنظر في مطالب قبائل جهم من أجل استئناف ضخ الأنبوب الذي ينقل إنتاج شركة صافر الحكومية من النفط الخام وأربع شركات أجنبية أخرى.

أخيراً، لم ترض 48 ساعة على عودة ضخ أنبوب تصدير النفط الرئيس في اليمن بعد توقف دام عشرة أيام وكلف خزينة الدولة نحو 100 مليون دولار، حتى أقدم مسلحون (في 7 أيلول/ سبتمبر) على تفجير الأنبوب في محافظة مارب وسط البلاد، يحدث ذلك على مقربة من قيادة النفطة العسكرية الوسطى، وأربعة ألوية عسكرية أخرى تبعد كيلومترات قليلة عن منطقة تفجير الأنبوب.

بين إنتاج النفط وتكريره سفر طويل يوجد في اليمن 13 حوضاً رسوبياً، ويقصر إنتاج النفط على حوضين رسوبيين أساسيين هما: حضرموت ومارب/شبوة، بمعنى أن إنتاج النفط ينحصر حتى الآن على مساحة 21.957 كم مربع، أي ما يُعادل 4 في المئة فقط من إجمالي المساحة الكلية للخارطة النفطية.

وينتج النفط الخام من ثلاث مجموعات، تم تصنيفها بحسب التراب في مواصفات النفط وموائئ التصدير، وهي كالتالي:

– مارب، خفيف (إنتاج خمس شركات عبر أنبوب صافر).

– المسيلة، مزيج (إنتاج خمس شركات عبر أنبوب المسيلة في حضرموت جنوباً).

– غرب عباد (إنتاج شركة واحدة وقيل جداً عبر أنبوب إلى بلحاف في محافظة شبوة).

يتم تصدير خام المجموعة الثانية (المسيلة) إلى الخارج من ميناء الشحر عبر مناقصات دولية تعلن عنها شهرياً للجنة العليا لتسويق النفط المنشأة في العام 2009، في حين تكثفي الحكومة بإعلان الكمية المنتجة من المجموعة الثالثة (غرب عباد) من دون الإفصاح عن وجهتها. ونظف المجموعة الأولى (صافر) فغالبيتها الكمية تكرر في مصافي عدن وتباع في السوق المحلي مع تصدير كميات محدودة، أما حرب الاستنزاف التي يتعرض لها أنبوب النفط فتخضع أنبوب المجموعة الأولى.

أمام نفط المجموعة الأولى سفر طويل، براً وبحراً، يمشي أنبوب صافر مسافة 403 كيلومترات بدءاً من حقول إنتاج القطاع 18 صافر في محافظة مارب وصولاً إلى ميناء رأس عيسى المحلي في محافظة الحديدة، ومن هناك ينقل بحراً إلى مصافي عدن مجتازاً مسافة بحرية مماثلة، في عملية تستغرق 21 يوماً بين إنتاج النفط الخام من حقوله ثم تكريره في مصافي عدن وإحفاً توزيعه للاستهلاك من الحديدة إلى محافظات الجمهورية، في حين أن المسافة بين حقول الإنتاج ومنشآت التكرير في أرامكو السعودية لا تزيد عن كيلومتر واحد!

يبدو جلياً إذن غياب التخطيط الاستراتيجي لدى الحكومات المتعاقبة المتمثل في بُعد المصافي عن حقول الإنتاج الرئيسية، وعدم تطوير وزيادة سعة مصافي مارب (تكرر 10 آلاف برميل في اليوم مقابل 150 ألف برميل في مصافي عدن)، ويترتب على ذلك أعباء كثيرة، كانهدام الوقود لإيام في المدن في حال قفز شيخ ما قطع الطريق واحتجاج القاطرات في طريق صنعاء – الحديدة بعد تكرير النفط الخام وعودته من عدن، فضلاً عن ارتفاع التكلفة بسبب أجور النقل، والأهم تهريب المشتقات النفطية الذي تشككي الحكومة منه وتتدرج به عادة إثر كل جرعة سريعة، إذ لا يتم سير النفط بشكل منظم إلا في المسافة البحرية بين مصافي عدن وميناء رأس عيسى المحلي في الحديدة ذهاباً وإياباً.

أنبوب الغاز وأنبوب النفط

لكن المشكلة ليست في المساحات الشاسعة التي يجتازها أنبوب صافر، ذلك أن أنبوب تصدير الغاز المسال للخارج يمتد من حقول الشركة نفسها، ويجتاز مسافة مماثلة (420 كيلومتراً) من محافظة

مارب إلى شبوة، وهو مؤمن من قبل الجيش ويحظى باهتمام الدولة، والمزات التي تعرض لها أنبوب الغاز (بلحاف) للتفجير قليلة جداً مقابل نحو 100 تفجير تعرض له أنبوب النفط.

ويثير هذا الواقع أسئلة كثيرة، خاصة أن عائدات الدولة من تصدير الغاز المسال بالكاد وصلت إلى نصف مليار دولار بعد موافقة «توتال» على تحسين أسعار البيع في العام 2013، و239 مليون دولار في العام 2012، في حين بلغت خسائر شركة صافر الحكومية، أكبر قطاع نفطي (بمساحة إماره قطر مرتين) وأكبر منتج للنفط والغاز الكافي في البلد والمنتج الوحيد للغاز المنزلي LPG وغاز الحطة الكهربائية والغاز المسال LNG ، 4.72 مليار دولار جراء الاعتداءات المتكررة على أنبوب النفط.

ووفق بيانات حكومية، تراجعت عائدات اليمن من النفط الخام نحو 661 مليون دولار في الأشهر التسعة الأولى من العام 2014 مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي، وذلك بسبب تراجع حصة الحكومة من إجمالي الإنتاج من 24 مليون برميل في العام 2013 إلى 19 مليون برميل في العام 2014، نتيجة الاعتداءات المنتظمة على أنبوب النفط، وحسب آخر تقرير لوزارة المالية، تراجعت إيرادات الدولة في العام 2012 بنسبة 409 في المئة عن

الكهرباء لا تتألف من رجال كهوف ومغارات يعيشون في أقاصي الجبال، وإنما من أعيان ووجهاء مناطق معرّفين، يعلنون عن اعتزامهم تفجير الأنبوب ويشعرون الحكومة قبل أيام في مرات عديدة (أحياناً عبر وسائل الإعلام المحلية) ما لم تستجب لمطالبهم.

وزارات أم وكالة أبناء

بدلاً من ضبط الحكومة للمتورطين في أعمال التفجيرات المنظمة، تحوّلت وظيفة وزارتي الداخلية والدفاع خلال السنتين الماضيتين إلى وظيفة إخبارية، تكفي بإعلان أسماء المتورطين في تفجير أنبوب النفط، كأنها مؤسسة إعلامية أو وكالة الأنباء اليمنية سبياً، وأسمحت سياسة إرسال لجان الوساطة التي يفضلها الرئيس عبد ربه منصور هادي (الذي استقال منذ أيام إثر دخول الحوثيين الى العاصمة والسيطرة على مرافقها) وتحججها الحكومة التوافقية، في زيادة الهجمات المنظمة، بسبب تلبية مطالب المجامين ودفع الأموال لهم، وأما الاعتقاد الشائع لدى الحكومة والنخب السياسية بأن التفجير يتم بإيعاز سياسي وتحريض من الرئيس السابق علي عبد الله صالح، فيبدو كلاماً تبريرياً للفشل القائم.



من الانترنت

وبصرف النظر عن الاتهامات السياسية، تؤكد الشواهد أن دوافع التخريب «اقتصادية»، بحتة، وأن طبقة هجيبة من المستفيدين المباشرين من ضرب الأنبوب تشكلت في الظلال من مشايخ

وزعماء قبائل وقادة عسكريين.

ولم يعد اتهام القيادات العسكرية المكلفة بحماية الأنبوب أمراً خفياً أو مجرد كلام يُقال في معقلين أو رفع مظالم أو دفع تعويض مالي عن خسائر مزعومة، في السنتين الأخيرتين، بات تفجير الأنبوب أشبه بالسوق السوداء والطريقة الأسرع والأسهل للحصول على امتيازات، مشروعة وغير مشروعة، من الحكومة، وتززت خلال السنتين الماضيتين جملة شواهد على وجود تواطؤ واتفاقات ضمنية بين قادة ألوية حماية أنبوب النفط وبين زعماء وشيوخ القبائل، إلقاء نظرة سريعة على التقارير الرسمية يعزز هذا الانطباع.

خلال 17 عاماً، بين 1992 و2009، تعرّض الأنبوب لخمس هجمات فقط، بينما وصل عدد الهجمات التي توقف بسببها إنتاج النفط إلى 40 هجوماً خلال العام 2012، و366 هجوماً خلال العام 2013، مما تسبّب في توقف إنتاج النفط والغاز لفترات طويلة وتراجع إيرادات النفط الخام.

ومن المهم الإشارة إلى أن المجاميع المسلحة التي باتت «تمنح» تفجير أنبوب النفط وأبراج

الحوثيون:

من محاصرين إلى مُحاصرين

بين العامين 2011–2014 شهدت جماعة الحوثيين («أنصار الله») في اليمن تحولات كبيرة، من جماعة مسلحة محظورة لا يجروا أعضاؤها على الاعتراف باتمامهم إليها، ويكاد تأثيرها ينحصر في مديريات محافظة صعدة شمال البلاد، بعدما خاضت ست حروب مع السلطة بين عامي 2004 – 2010، إلى جماعة مشاركة في المشهد السياسي اليمني كطرف في مؤتمر الحوار الوطني، وأصبحت في الوقت نفسه قوة عسكرية توسعت على الأرض، لتتحول إلى قيادة ما تسميه «ثورة شعبية»، محاصرة العاصمة صنعاء من جميع منافذها. طالب الحوثيون بإطاحة

حكومة الوفاق الوطني وإعادة الدعم للمشتقات النفطية الذي ألغته الحكومة أواخر تموز/ يوليو الماضي، وتنفيذ مخرجات الحوار الوطني. حاصر الحوثيون العاصمة، ونفذوا عدة تظاهرات أسبوعية ضد الحكومة، ولم يتراجعوا عن خطواتهم التصعيدية، ما هي العوامل التي ساعدت الجماعة على هذا التحول الكبير في وضعها وقدراتها وسياساتها خلال سنوات قليلة، وما الذي يمكن أن تؤدي إليه هذه التحولات في مستقبل اليمن المنظور؟

الحوثيون في ثورة شباط / فبراير

انضم الحوثيون إلى الجموع المشاركة في انتفاضة شباط/ فبراير 2011، وشاركوا مع خصومهم التقليديين (الإخوان المسلمين) بإسقاط نظام الرئيس السابق علي عبد الله صالح. لكن هذه المشاركة لم تكن تحالفاً بأي شكل، فقد كان لكل منهما أهدافه وخطته لا بعد صالح. وبدأت الأمور تتضح حين رفض

الدعم الخارجي

لم يواجه الحوثيون صعوبات في الحصول على السلاح، لأن لديهم مخزوناً ضخماً من حروبهم الست مع السلطة، ولأن السواحل اليمنية تكاد تكون مفتوحة لتزويده إلى داخل البلاد، ولدعم إيران لهم. وهكذا أصبح الطريق بين صعدة شمالاً وصنعاء العاصمة مفتوحاً أمامهم باستثناء عقبة واحدة قوية تمثلت في اللواء (310) الموالي لحصوم الحوثيين والمتمركز في مدينة عمران (50 كم شمال العاصمة)، وبعد أقل من شهرين على سقوط حاشد في أيديهم، كان الحوثيون ينقلون معركتهم إلى مدينة عمران ذاتها، بعد رفض السلطة مطالبهم بتغيير المحافظ وإخراج اللواء «310»، الذي اتهموه بالولاء للإخوان. لم تستجب السلطة لمطالب الحوثيين، واندلعت العركة التي انتهت بسقوط اللواء والمدنية في أيديهم، في 11 تموز/ يوليو الماضي. وقد حرصت السلطة على البقاء على الحياد بين المتصارعين، واكتفت في كل مرة بتشكيل لجان وساطة بين الحوثيين وخصومهم، دون أن تصل أي لجنة لحل نهائي. وبإسقاط الحوثيين اللواء «310» ومدنية عمران، كسروا أقوى ذراع عسكرية لواء محسن الأحمر (حليف الإخوان وآل الأحمر)، وسيطروا على ترسانة أسلحة ثقيلة ضخمة من ضمنها أكثر من 45 دبابة.

الميليشيا الأقوى: ماذا بعد ذلك؟

أصبح الحوثيون الآن القوة المسلحة الأبرز، مع عدم استبعاد قوة الإخوان وحلفائهم بالبيع الذين ما زالت معاركهم في الجوف (شمال شرق صنعاء) دائرة منذ أشهر، لكن نقطة الضعف الأقوى التي استندت إليها الحوثيون هي عدم وجود معارضة فعلية تعبر عن رأي الشارع ومطالبه، في ظل وجود حكومة وفاق ائتلافية من كل الأحزاب الفاعلة، تشجع الحوثيون على التصعيد الخطير الذي يقومون به الآن. يعرفون أيضاً أن الجيش والدولة لا يستطيعان إيقافهم إلا في حال قيامها بشن حرب ستدمر البلاد برمتها وتؤدي إلى تدمير بقيةها إلى دويلات، لا يستطيع أي طرف تحمل تبعاتها. وبالحجم، هناك فراغ كبير تركته السلطة الضعيفة الحضور وتملؤه الجماعات المسلحة، تبقى الدولة مجرد شاهد على ما يجري، وفي حال خوضها حرباً فإن جنودها يكونون عرضة للاهلال والسقوط كضحايا لخصومهم، ومع عدم جدتها في قرارات الحسم، تضعف معنويات الجنود، وغالباً ما يؤمرون بالانسحاب من مواقعهم ليستولي عليها خصومهم، كما أن تشتت جهود الجيش بين مشاكل «القاعدة» جنوباً، وقتال الجماعات المسلحة شمال وشرق ووسط البلاد، حد من قدراته، أما المشكلة الأكبر حضوراً، فهي تعدد ولاءات الجيش لجماعات وشخصيات خارج الإطار الرسمي للدولة، يتوسخ الحوثيون، ويلتحق بهم المؤيدون في المرحلة الحالية بحكم إقرارهم لمطالب ذات طابع اقتصادي واجتماعي، وهم يمتلكون مزية جهورية تتمثل بعدم اختراقهم بعد، وتنظيم الجماعة دقيق، وإن بدا في الوقت نفسه ملاميا وغير متسلح، بحيث لا تتمكن الهجمات الرسمية، كاجتة العقوبات التابعة لمجلس الأمن، من التعامل معه كطرف معرقل للنسوية، بما أن الجماعة ليست رسمية ولا تمتلك حسابات بنكية، أو علاقات دولية رسمية يمكن وضعها تحت طائلة العقوبات، (ما شجعها على الرد الحاد في كل بيانات مجلس الأمن والدول العشر). لكن المخاوف التي تغيرها أنشطة الحوثيين لدى المواطن العادي على أنه واستقرار بلاده، ستنعكس سلبا على الجماعة. وقد يمثل عدم استقلالها لانتصارات السياسية التي حققها حتى الآن في تسوية واضحة، والإصرار على المضي قدماً في المواجهة، خطأها الاستراتيجي.

توفيق الجند

كاتب صحافي من اليمن

اللعب على التناقضات

ركز الحوثيون على خريطة تحالفات القوى العادية لهم ومكامن

المندوب والزبون في الجنة

– المندوب: نحن نسير الآن في الجنة، انظر كل هذه الأشياء، هذه هي الجنة، كما وعدتك، قلت لك لو أتى

المسيحي رئيساً ستكون مصر جنة، صح؟ ألم أقل لك هذا؟

– الزبون باندهار: صح.

المندوب يأخذ الزبون بيده نحو الأشجار:

– هنا لدينا قسم الأشجار، انظر إليها، تأمل في لونها، هي خضراء خضراء بلون الجنة، هذه هي الجنة حقاً.

يلمسها الزبون. يعلق بعض التراب بأصابعه.

– المندوب: هذا تراب، ماذا في هذا؟ ما هو التراب؟ أليس جزءاً من الطبيعة؟ الجنة ليست غابات وأشجاراً فقط. هذه صورة للتقريب، الجنة فيها بحر أيضاً، وفيها صحراء، وهذا ما كنت أريد قوله.

يأخذه المندوب نحو الصحراء:

– انظر، لدينا صحراء أيضاً، جبال ووديان، الصفاء

النفسي يا صاحبي، الأندباء كلهم ظهروا في الصحراء. عاصفة ترابية نفسلها. هما الآن مغطينا بالتراب.

يشير الزبون إلى نفسه.

– المندوب: لا تقلق على الإطلاق، هذا مجرد تراب، التراب من الطبيعة ونحن من التراب.

يهطل المطر فجأة بغزارة. التراب يتحول إلى طين.

– المندوب: نحن من التراب والماء والطين، هذه بقية الجملة.

يقترّب منهما بلطجي، يطلب ما معهما من النقود.

يعطيه المندوب النقود ويشير للجميل بأنفة ليعطيه هو الآخر نقود. يمد الزبون يده في جيبه ويخرج كل ما فيها. ينصرف البلطجي.

– المندوب: هذه مفاجأتي الثالثة. نحن الآن في المدينة.

انظر. الجنة ليست غابات ولا صحراء فقط، هناك المدينة



أيضا، حتى لا تشعر بالملل. جنتنا مسلية في النهاية، انتبه، كل هذه السعادة لأن المسيسي رئيس مصر. أنت تدرِك هذا طبعاً، أنت ذكي، صح؟ يوماً الزبون بالإيجاب، ويتحركان بين اللبناني والبشر المتكدسين وطوابير السيارات ورائحة العوادم.

– المندوب: كلمني الآن قليلاً عن سعادتك. أحب أن أسمع منك. اشرح لي ماذا أنت سعيد هكذا؟

يتحرك طابور السيارات أخيراً، تنطلق السيارات بسرعة تصدم إحداها الزبون فيسقط على الرصيف ويحتضر. يقترّب منه المندوب. يربت على كتفه ويقول له: – ستמות وتذهب إلى الجنة شفت. ما المشكلة؟ لا تقلق. هذه المرة جنة بجد، والله العظيم. شفت. أنا لم أكدب عليك.

ملف

في عصر التحرر الوطني..

صعود الفكر والممارسة الاقتصادية الفلسطينيين وسقوطهما

الفكر الفلسطيني الاقتصادي من صامد إلى صمود إلى سلام (II)

يمكن تحديد مراحل متميزة عذة لتطور مفهوم «القطاع العام» الفلسطيني ذي الهوية الاقتصادية والاجتماعية التميّزة وكذلك لأداء القيادة الفلسطينية في رعاية مهامه ووظائفه.

إغواء الاشتراكية العربية

في ستينيات القرن العشرين

في فترة ما بعد 1948، وعلى الأقل حتى بداية حركة المقاومة المسلحة في 1965، عادت النخبة الفلسطينية الثقافية والاقتصادية الظهور (خصوصاً في المناق) أو بناء نفسها من الصفر في أعقاب النكبة وصدمة النفي. كان كثير منها منجذباً إلى مختلف تيارات القومية العربية أو الشيوعية، ولذلك لم يكن الفكر الوطني التحرري الفلسطيني يحظى بالشعبية آنذاك. وبالنسبة إلى أولئك الفلسطينيين المشردين الذين كانوا يطمحون إلى العودة والتحرر، وتنظيوا من أجلها، بدت نماذج الدولة التنموية التي أعلنها مختلف أنصار «الاشتراكية العربية» قابلة للحياة سياسياً وعادلة اجتماعياً في السياق العربي ما بعد الاستعمار وفي التجارب الموازية لكثير من البلدان في العالم النامي. وكان يوسف عبد الله الصايغ، الاقتصادي الفلسطيني البارز في ذلك الجيل، قد أكد في واحدة من مساهماته المبكرة في الفكر الاقتصادي العربي (وهي عبارة عن كتاب نُشر في العام 1961 عنوانه «الخبز مع الكرامة») إمكانية قيام البلدان المستقلة حديثاً بمثل هذا الدور. أمّا بالنسبة إلى آخرين ممن اكتفوا بإعادة بناء سبل معاشهم في النفي من خلال الاندماج في المملكة الأردنية الهاشمية أو العمل في دول الخليج العربي، فـ«لعلّ نضار الرأسمالية كانت بمثابة ترياق لما تطوى عليه خسارة الوطن من ألم وغتراب. ولا عجب في أن أكثر الرأسماليين الفلسطينيين نفوذاً (واتارة للريب وسوء الفهم) هذه الأيام، آل الصري وشومان والخوري والصباغ والعقاد، ينظرون إلى استثماراتهم في فلسطين من زاوية «العودة» و«الوطن» لا من زاوية الريح والخسارة فقط.

تمويل الثورة

في سبعينيات القرن العشرين

بعد ظهور حركة المقاومة المسلحة المتمركزة في الأردن وسوريا ولاحقاً في لبنان، أصبح تمويل جناحيها العسكري والسياسي وإدارتها المالية مهمة رئيسية لفتح وقضايا منظمة التحرير الفلسطينية. وشهدت سبعينيات القرن العشرين قيام أولى المشاريع الاجتماعية والصناعية المولدة لفرص العمل والتي ادارتها فتح ومولتها، بدءاً من الأردن. وكانت الحاجة إليها قد جاءت أساساً من ضرورة التعوض بالمسؤوليات الاجتماعية المتنامية التي أخذتها على عاتقها قيادة سياسية سعت إلى تبنيته لخدمة الشعب الفلسطيني وتنظيمه في كل مكان في صراعها مع إسرائيل بعد معركة الكرامة في الأردن العام 1968. وادت «مؤسسة الشؤون الاجتماعية» التابعة لفتح دوراً متنامياً في تقديم مخصصات الضمان الاجتماعي إلى أسر الشهداء والأسرى (وهذا الأمر متواصل إلى اليوم، وتشمل عشرات الآلاف من الأسر في فلسطين وخارجها). وراحت لاحقاً تقدم الخدمات التعليمية والصحية وغيرها لأبناء الشهداء. ولملها كانت أول هيئة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية تطلق عليها اسم «المؤسسة».

بعد اقتلاع منظمة التحرير الفلسطينية من مخيماتها لتنتشر في مخيمات لبنان، جرى استكمال وظائف الرعاية الاجتماعية بالأنشطة

الاقتصادية. وركزت هذه الأنشطة على تأمين مزيد من أشكال الإمداد الفعالة غير المكلفة والمعتمدة على الذات وتقديدها لإدارة إعادة تموضع الفلسطينية، فكان التدريب المهني وتوفير فرص العمل لقوة العمالة الوجودية في المخيمات وتمويل بعض أنشطتها الأخرى. وكانت صامد «جمعية معمل أبناء شهداء فلسطين») الشروع الأبرز في هذا الصدد. وإلى جانب التشجيع على التوبة

الشعبية من خلال المنظمات الجماهيرية، كاتحادات العمال والطلاب والكتاب والمهندسين والأطباء والنساء (وغيرها)، شجعت أيضاً أشكال إضافية من الإحتياجات والبيادرات الاجتماعية – الاقتصادية، مثل التعاونيات الاستهلاكية والإنتاجية ومشاريع الإنتاج المنزلي المعتمدة على الذات في المخيمات (كالتطريز، والحرف اليدوية، وإعداد الطعام، تاهيك عن تقديم الخدمات الثقافية والتعليمية والاجتماعية، وقد أثرت مراكز منظمة التحرير للأبحاث والمعلومات والتخطيط في بيروت مشهد «مؤسسات الدولة» بنشرها الكتب والمجلات والتقنية/الأكاديمية ومواد الدعم التي شملت تغطية لأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها من جميع أوجهها.

دعم الصمود في الأراضي المحتلة

في ثمانينيات القرن العشرين

ما إن أبدت منظمة التحرير بعد العام 1982 في الغياي العربية، مزيداً من الإبعاد عن قرى الشعب الفلسطيني ومدنه ومخيمات لاجئيه، حتى بات من الضروري إعادة مشروعها الاقتصادي من جديد. وهذا ما دعت إليه أسباب عمليةية (تمويل)



منذر جوابرة - فلسطين

وكذلك لإنفصال قيادة المنظمة وقواتها المسلحة عن قاعدتها الشعبية للمرة الأولى خلال عشرين عاماً من وجودها. وقد رافقت هذا التحول إعادة تموضع بؤرة التركيز السياسية والديبلوماسية الفلسطينية من مخيمات الشتات إلى المناطق المحتلة. وكذلك إلى أراضي 1948. وسرعان ما استؤنفت العمليات العسكرية الفلسطينية ضد إسرائيل من خارج فلسطين وداخلها، مؤرّسة جميع نشاطات المنظمة أيما وجدت إلى إجراءات الانتقام والردع الإسرائيلية.

مع ذلك، وقبيل اندلاع الانتفاضة الأولى، وضعت المنظمة برنامجها الأول لـ«عم صمود الشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة». وهذا التحول في الإهتمام من التجمعات الفلسطينية في سوريا ولبنان والأردن التي لم تعد المنظمة قادرة على الشفاغل معها، إلى فلسطيني الأراضي المحتلة وإسرائيل، وإلى بناء المؤسسات وتطويرها بالمعنى الواسع لهذا المصطلح. وفي هذه الفترة ذاتها، أطلقت أولى برامج وأفكار التنمية الفلسطينية الشعبية في الأراضي المحتلة مع «مؤتمر الصمود من أجل التنمية» (1982)، وسع سلسلة من الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ما قدم دليلاً آخر على تزايد تركيز النضال الوطني الفلسطيني - في فترة ما بعد بيروت - على الحفاظ على أرض فلسطين وشعبها ومواردها بوسائل غير عسكرية، بل بتبنيته جماهيرية لم يسبق لها مثيل تحت راية التنمية والصمود.

رجا الخالدي
باحث من فلسطين مشارك في مركز دراسات التنمية في جامعة بيرزيت.

سوريا، حياة أدبية عبر أقل الدروب توقّعاً!

على مثل هذا الترويج الحقيقي والواقعي يتأسس خيال المفارقات وتنهض خصوبة الامتوقع في سوريا. فالحفائق أقرب إلى الخيال، والسوريون خير من يعلم كم تكزرت مثلا حوادث تدخل فيها مجموعة عسكري منزل عائلة سورية فيأمر الضابط الجندي المرافق له بأخذ العائلة إلى غرفة أخرى وتصفيتهم جميعا. يمتلك الجندي. يأخذ العائلة إلى الغرفة الأخرى. يقول لهم: «قفوا ووجهكم إلى الحائط». يطلق النار على السقف قاصداً تقاديفها يخرج إلى الضابط ليقول له كاذباً:«تمت المهمة سيدي!». أو قفصة «أم أحمد التونسية» التي يقال إنها تبلغ الأربعين من العمر. واشتهرت بعنفها الشديد وقسوتها. وهي قيادية في تنظيم الدولة الإسلامية - داعش - في مدينة حلب السورية وتثير رعب السكان. تنفذ أم أحمد أحكام المحكمة الشرعية للتنظيم مهما تكن. وقد تمزّست على نحو خاص بتعذيب النساء اللواتي لا يرتدين اللباس الشرعي أو المتهمات بالزنا (تلك النعمة التي ندر أن تبثت في التاريخ الإسلامي). يعلق صديقي الحلبي أبو محمود ساخراً: في الإسكندرية كانت توجد ريتا وسكينة. ولا نعلم ما إذا كان لأم أحمد شريكة هنا!

مع اتعيار جدار الخوف لدى السوريين، بات لدى المواطنين شيء من الحرية في تناول الجيش النظامي وبقياء الجيش الحر وما يلاقونه من معاناة على حواجزهم، وفوضى فتاوى الكتائب الإسلامية وعنتيتها، وغير ذلك من المواضيع... يدرك ذلك كل من يصغي إلى الحلبيين النازحين إلى مدينة اللاذقية، وعددهم يفوق المليون. وهم يقضون معاناتهم من أطراف «الصراع الزائف في سوريا»، على حد وصف

الكتاب الصربي سلافوي جيبيك. يستعين الحلبيون في رواية هذه القصة بقاموس عذاباتهم اليومي وما أفرزته أحوال وأهوال ما يجري، ويغدّون ويوجّجون ناره بصعوبة التواصل مع أحبائهم وهم على بعد عشرات الأمتار: احتاج حلبي إلى قطع مكات الكيلومترات كي يصل إلى جثمان أمه التوفاة في الحي الجوار لحيته بسبب تقطيع أوصال المدينة وانتشار القناصة على أسطح البنايات. ومن كابدوا اللوعة التي كابدها هذا الرجل أكثر من أن يُحصوا.

طيران أطراف وسردية متقلّبة

في رواية ماركيز الأشهر «مئة عام من العزلة»، تطير الفتاة أثناء نضرها غسيلها على السطح ولا يجد أهل لها أنراً. في سوريا، الأمر مختلف بعض الشيء. الفتاة كوتر في السابعة عشرة من عمرها، تساعد أمها في نشر الغسيل في اللحظة التي تطلق طائرة صاروخاً باتجاه مسجد قريتهم، بعد تسلسل عناصر من «النصرة» إلى القرية وتمركز قادتهم في المسجد. نجم عن الصاروخ أن طارت كوتر عن السطح ولكنها عادت بعد ثوان وحطت عليه من دون إحدى ساقيها. لم تقف الكارثة عند هذا الحد. فجدار إحدى غرف بيت كوتر الجاور للمسجد تداعى فوق جسد أخيها النائم الذي كان يُغفرش أن يُقام حفل خطبته في مساء ذلك اليوم المشؤوم. والنتيجة: تحطم وجه العريس وفكاه وأعطب في نواحي جسمه كلها. قال لي، وهو يعلق على تلك اللحظة السوداء: «أصبنا بالفزع والاضطراب. احتار أهل من ينفذون أولاً. أسرع الجيران إلى مساعدتنا، ونقلونا إلى مستوصف كان

العربي السفير

58 مليار دولار ميزانية السعودية العسكرية (الرابعة عالميا) مع عديد قوات يبلغ 233 ألف مقاتل. مصر 486 ألف مقاتل بميزانية 4.1 مليار دولار، العراق 276 الف مقاتل بميزانية 5.5 مليار دولار، سوريا 304 آلاف مقاتل بميزانية 2.5 مليار دولار، الجزائر 127 الف مقاتل بميزانية 8.1 مليار دولار (أرقام 2014 - معمد استوكهولم لأبحاث السلام)

مواقع / إصدارات

متحركين

لأجل فلسطين

«مجموعة شبابية فلسطينية مستقلة» ناشطة عبر صفحة خاصة على فيسبوك. تكسر المعتاد في هذه الزاوية المخصصة للمركز والمواقع البحثية، لأننا نرى في نشاط المجموعة، في توجهاتها واختياراتها، ما يجهد بوعي الي معاكسة الخطة التفتيتية للاستعمار الاستيطاني الفلسطيني (انظر نص ندیم خوري في هذا العدد «الاستعمار الاستيطاني: تفنيت الجغرافيا والتاريخ»). وهذا يلاقي بل يعادل تماما - ولو بأدوات ومفردات أخرى - الجهود البحثية والتحليلية التي نهتم بها. تعرّف المجموعة نفسها: «نعمل دفعا بإحقاق حقنا الإنساني والسياسي، شعبياً، في حرية الحركة والتنقل من أجل تعزيز هويتنا الوطنية الفلسطينية الجمعية (...). إننا نتحرك رفضاً للواقع المرير الذي فرضه الاستعمار الصهيوني علينا، والتمثل بسحق الهوية الجمعية الوطنية وسلخنا عن بعضنا البعض...». الولود عمره سبعة أشهر، ولكن العمل الجاد والتفن يعكس خبرة وجدية. لا أسماء تطلق على السطح، يأتي دائماً التعريف أو توقيع أي عمل باسم «مجموعة متحركين». نشرت المجموعة أخيراً دعوة للانتساب إليها «مطلوب ناشطين/ات جدد»، مع سلسلة شروط تحكم الانتساب يأتي أولها العمر (بين 22 و28 عاماً)، والإلم بقضايا المجتمع السياسية والاجتماعية وقضايا الشباب.

خلال العدوان الأخير على غزة، قامت المجموعة بنشاط لافت. جمعت صور شهداء وشهادات ناجين ونشرتها ترقيقة بنص قصير (باللغة العربية والإنكليزية): «اسمي خالد مصبح، عمري 25 سنة، ولدت في مصر وانتقلت بعدها إلى حي الشجاعية في غزة مع أهلي... كنت مع القاموسين. وحين دخلت قوات الاحتلال إلى الحي اشتبكنا معنا أنا ورفاقي. واستشهدت.»

أما آخر التحديطات فكانت لناشط في المجموعة «كان يحمل أن يصبح محاميا ليحاكم الاحتلال على جرائمه فلنكمل حلمه» (الشهيد عبدالله منصور عمارة / استشهد في مجزرة الشجاعية). إذا «متحركين» تقوم بنشاط أرشفي توثيقي، يستغل على الوعي العام والتأثير غير المباشر. النشاط الأول للمجموعة، جاء في الذكرى 66 للكلمة الفلسطينية، خلال مسيرة العودة إلى قرية «لوية» التي محيت عن الخريطة. وقامت مجموعة شبابية بحمل مجسمات للجدار الفاصل على طول الضفة الغربية الذي فرضه الاحتلال.

ثاني النشاطات جاء بعنوان «جولة فلسطينية من غزة للناصرة لنابلس... لا حدود لهويتنا»، هدفها يلتقي مع الغاية الأساسية للمشروع، وهو التحرك لرفض الواقع المرير المفروض من الاحتلال وتأمين التواصل الجغرافي والعنوي بين أبناء الشعب الفلسطيني. وهكذا تحور النشاط على إعلان 18 من شهر أيار/مايو يوماً للسفر «سنسافرون ولاي حلم». تلاقت مجموعات في كل من رام الله وحيفا وغزة، وفتحت اتصالاتا مباشراً عبر الإنترنت، وتوجل أفرادها في قضاء اقتراضي.

أطلقت المجموعة سلسلة ملصقات (بوستر) تحمل عبارات تجسد الفكرة الرئيسية: هوية زرقاء أو هوية خضراء، هوية وطنية بتجمعنا/الضفة أو القطع أو الداخل أو الشتات أو المخيمات، فلسطينك بتجمعنا، الحراك ضد الجدار، التصدي لمخطط برافر، حراك العودة، النضال الشعبي بيجمعنا...

https://www.facebook.com/mitzarken/timeline

فكرة

أطفال سوريا.. الجريمة الكبرى

لم يعد أي خبر في الأزمة السورية، مهما كانت فداحتها، قادراً على إحداث صدمة أو تأثير. بعد أربع سنوات على اندلاع تلك الانتفاضة، بات الحدث يرتمه يختصر بالأرقام: 30 قتيلًا خلال قصف قوات النظام.. الدولة الإسلامية تعدم أكثر من 40 جنديًا بعد السيطرة على... الخ الخ... عداد يصلح تتبعه أو الاستناد عليه كـمؤشر على الكارثة التي ستحكم المجتمع السوري، أو «مجتمعاته» حين تسكت أفواه المدافع والبنادق.

من بين هذه الأرقام، أعداد الأطفال السوريين الذين باتوا خارج المدارس منذ بدء «الأحداث» في البلاد. منظمة «أنقذوا الأطفال» العالمية نشرت تقريراً الأسبوع الفائت خلص إلى وجود ثلاثة ملايين طفل سوري داخل الأراضي السورية لا يستطيعون الالتحاق بمدارسهم، من أصل 6.4 مليون تارخ سوري داخل البلاد. فقد دمرت أو تضررت حوالي 3465 مدرسة، يضاف إلى هذا العدد أكثر من 1000 مدرسة تستخدم الآن كسلاجي. أما بالنسبة لاجئين خارج البلاد، فيشير التقرير أن نسبة الأطفال الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بمدارسهم في إقليم كردستان مثلاً هي 90 في المئة، وفي تركيا 84 في المئة، وفي لبنان 80 في المئة.

سوريا التي كانت تتميز بنسبة تعليم تناهز 100 في المئة قبل «الأحداث»، هبط معدل التسجيل المدرسي اليوم في مناطق منها كحمص وإدلب إلى حوالي 50 في المئة، في حين وصلت نسبة التسجيل في المدارس في حلب إلى حوالي 6 في المئة فقط.

والقارة تدفع البعض للقول «ألم تكن الأمور بألف خير؟». وقد تصح القولية في حال جردت من أي سياق آخر واستندت على هذه الأرقام فقط. لكن نسبة الإنفاق على التعليم في سوريا قبل اندلاع «الأحداث» تظهر مناقضتها للواقع وتعيد إلى السياق أوهيته: قبل «الأحداث»، كانت نسبة الإنفاق على التعليم في سوريا لا تتجاوز 5 في المئة من نسبة الإنفاق العام. وإذا لم تخدم معه، بالتفاصيل الحيّة لصاحب العلاقة الأصلي. ولا ضير أن يزيد الراوي - الرواة - شيئاً مما نسعيه بـ«البعارات» بغض النظر عن مقوليتها أو عيمها. هكذا، تتراكم بعد فترة طبقة كثيفة ومعقدة من الأحداث والتفاصيل. وكم مفاجأ المرء حين يسمع قصته وهي تُتداول في منطقة أخرى وفي وسط اجتماعي آخر، ويضطر للتسامح في «حقوق النشر»، مهما تكن الأكاذيب الضرورية والتوابع المضافة. مما يتداوله الحلبيون، في مزيج من السخرية والتندر، قصة خالد الحياني، بائع السمك في حي الشرفية في حلب الذي تحول إلى قائد لكتيبة شهداء بدر، وما قامت به كتيبته هذه في ظل قيادته من أعمال فذّة، خطاف وسرقة. ويركز الحلبيون بصورة خاصة على اتصال هاتفٍ أجرته مع القائد الحياني سيده من سيدات المجتمع الحلبي يبدو أن لها معرفة سابقة بـ«حضرته»، وتهديدها له إن لم يُعد مخولفاً تكفلت بإعادته لأهله، ولهجة الامتثال التي كان الحياني يخاطبها بها، واعداً إياها بالإفراج السريع عن المخطوف.

ما يخسرهم السوريون في السياسة قد يكسبونه في الأدب الزاخر بمعاناتهم، كما يخيلناهم.. الشروعة

فراس يونس

كاتب من سوريا

أدم شمس الدين

97.2 مليون شخص هو عدد الأميين في المنطقة العربية من أصل حوالي 340 مليون نسمة، أي بنسبة 27.9 في المئة من مجموع السكان، وأما نسبة الأمية لدى النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 15 و45 عاماً فتبلغ 60 في المئة

الاستعمار الاستيطاني: تفتيت الجغرافيا والتاريخ

الاستعمار الاستيطاني، شأنه شأن غيره من أشكال الهيمنة، يفرض كي يسود. كلما مضى أبعد في اختراق الأرض التي استولى عليها، وتعمق في إدارة السكان الذين أخضعهم، ازداد تقسيمه إياهم، وتفتيته لهم، وتمزيقهما إرباً، ويتضح هذا التفتيت في إسرائيل/ فلسطين أشد الوضوح في مشهد ما يسمى بالدولة الفلسطينية المستقبلية، حيث تخزن طرق الاستيطان وجدران الفصل العنصري الجيوب المستقلة الأخذة بالتراجع هي ذاتها. وثمة مئات من الحواجز التي تقسم الضفة الغربية الآن محولة المسافات القصيرة إلى مسافات طويلة، ومعدة صوغ العلاقة بين الزمان والمكان بالنسبة إلى شعب برتمته.

التقسيم القانوني للفلسطينيين لا يقل خبثاً عن تفتيتهم الجغرافي. وقد أقر الكنيست الإسرائيلي مؤخراً قانوناً يميز المسيحيين الفلسطينيين الذين يعيشون في

أقر الكنيست الإسرائيلي مؤخراً قانوناً يميز المسيحيين الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل كأقلية منفصلة، لم تعد تُعتبر عربية.

إسرائيل كأقلية منفصلة، أقلية لم تعد تُعتبر عربية. وكان، في يوم واحد، أن عملت الحدود الجغرافية والترسيمات الإدارية على خلق هوة بين العائلات الفلسطينية المسيحية المنتشرة في أنحاء الضفة الغربية والجليل. فلم يقصر الأمر على امتلاكهم هويات قانونية مختلفة، فلسطينيو الضفة الغربية وفلسطينيو إسرائيل، بل باتوا ينتمون إلى شعبين مختلفين، العرب وغير العرب. كما باتوا يُصنّفون في فئة جديدة واعتباطية، فئة واحدة من بين فئات عديدة أوجدتها إسرائيل لفلسطينيين: عرب إسرائيل، فلسطينيو الضفة الغربية، فلسطينيو غزة، سكان القدس الشرقية، النازحون داخلياً، اللاجئون... ويقام الجدران المادية والقانونية، فإن شعباً يفرض حكمه على شعب آخر ويخلق لديه رهاب الأماكن المغلقة، وفي هذا السياق، فإن كثيرين يظنون اللوحة الأكبر التي تغيب عن أبصارهم.

مع الحرب الأخيرة على غزة، لم يقف الأمر عند انحسار الجغرافيا الفلسطينية، بل تعداه إلى انحسار الزمن الفلسطيني. وبات ثمة تاريخ كابل من السلب انقسم إلى سرديات قصيرة ومنفصلة. أصغوا إلى المبررات الإسرائيلية للحرب على غزة وانتبهوا إلى حكمتها، يقولون إنها حرب على غزة، حرب على حماس، لكنهم سبب المشكلة: نقطة البداية المنطقية والزمنية للحرب، على سبيل المثال، سُئل الفيلسوف والصهيوني الفرنسي المتحمس، برنار هنري ليفي، في برنامج حوار ليلى مؤخرًا، لماذا لم يُدِن هجوم نتانياهوا على غزة وقتله الآلاف، فأجاب إنه مستعد لنذب الدنيين الفلسطينيين الذين ماتوا، لكنه أصّر على أن حماس هي المسؤولة عن مومتهم، ولعل هذا أيضاً هو السبب وراء اعتقاده أن من الممكن الرضاء لهم. ومثل هذه الاستجابة هي عرض من أعراض زمن منحسر ومستضائل، في عام 2006 انتخب الفلسطينيون حماس ويجب بالتالي أن يدفعوا الثمن. في عام 2014 انتهكت حماس وقف إطلاق النار، ولذلك يجب أن نتحمل العواقب. ومع كل حجة، مع كل مؤتمر صحفي، يغدو التاريخ أضيق، وهو كما يتقلص، كذلك يفعل إطار النقاش. وينخرط الخبراء والمعلقون في أحاديث تفصيلية عن الذين انتهكوا وما الذي انتهكوه ومتى. وتتركز الأحاديث على انتخاب «جماعة إرهابية»، وحالات محددة من وقف إطلاق النار. وبينما تفرق في التفاصيل، نغفل عن التاريخ الأكبر لتشريد الفلسطينيين، وللسياسة الاستعمارية التي تقف عند جذر هذا التشريد.

«تساؤل التاريخ»، هذا ليس بالجديد. مع بدء عملية السلام في تسعينيات القرن العشرين، تقلص التاريخ فجأة عائداً إلى حرب عام 1967. وقد اعترف المورخ الإسرائيلي إيلان بابيه بهذا حين أشار إلى أن اليسار الإسرائيلي، الذي وقع اتفاقات أوسلو، «يتقبل انتقاد إسرائيل ما بعد عام 1967»، أما «فترة 1967-1982» فهي خارج الحدود. وباخذاً قرار بدء النقاش بحرب 1967، يغدو تشخيص بعينه للمأزق الفلسطيني متاحاً ببسر: المشكلة، كما يبدو، هي مشكلة دولة - أمة تحتل احتلالاً غير قانوني أرض أمة بلا دولة. وفي هذا الإطار، تدور المناقشات حول عام 1948. عام قيام دولة إسرائيل، فيما تبقى محنة 750 ألف لاجئ «خارجاً». لاحظوا كيف يعكس تفتيت التاريخ هذا تفرق شعب. ابتداءً بعام 1967، وسوف تفصل فلسطيني الأراضي المحتلة عن أولئك الواقفين الآن تحت السيادة الإسرائيلية. ابتداءً بانتخابات حماس الديموقراطية في عام 2006، وسوف تفصل غزة عن الضفة الغربية. وبذلك تنفصل قضايا غزة والضفة الغربية وفلسطيني 1948 ذلك الانفصال المثير لأشد القلق، وتفرغ، داخل الدوائر الدبلوماسية، إلى عمليات

نديم خوري
استاذ وباحث من فلسطين

حلم ..

علا حجازي / السعودية



بينما نفرق في التفاصيل،
نغفل عن التاريخ الأكبر لتشريد
الفلسطينيين، وللسياسة
الاستعمارية التي تقف عند جذر
هذا التشريد

الفلسطينيين لصيرهم هو استعادة هذا التاريخ. وبهذه العودة إلى الوراء، فإننا نتعمق أيضاً جذور المشكلة ونخرج باطر جديدة للتفسير: الاستعمار الاستيطاني، والتطهير العرقي، والإمبريالية، وإد تتسلح بهذه الأدوات التفسيرية، فإننا نعيد الوصل بين النقاط. ولا يعود التمييز ضد «عرب إسرائيل» منفصلاً عن الترحيل الصامت من القدس الشرقية، ولا مختلفاً عن استيطان الضفة الغربية، أو محنة لاجئ 1948، أو تدمير غزة. فكل ذلك هو الشيء الواحد ذاته، وفصله هو المشكلة، أما وصله فهو الحل.

النص منشور بالإنجليزية في مجلة Society and Space: <http://societyandspace.com/material/commentaries/nadim-khoury-receding-chronology-fragmented-narratives/>

arabi@assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»: arabi.assafir.com

- الحكومة تحصي الشعب العربي - محمد بنعزیز
- «يوتيوب» مساحة انتقاد بديلة في موريتانيا - أحمد جدو
على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
على «تويتر»: السفير العربي - @Arabi Assafir

.. بألف كلمة

محاربة الفساد



خضير الحميري - خاص «السفير العربي»



أمنيات تتلاشى أمام موتٍ سريع

«هذه الذكرة التعبة ليست أكثر من اليوم مفتوح على أوجاعنا.. مزاج يومي مُقلّب، يرتفع وينخفض وفقاً لقياس غوصنا اليومي في مسرح حياة صعب. إشكاليات تطحن إمكانيات تقارب الناس وتجبرهم على مغادرة الحياة إلى الموت.

هذه ليست مسائل مكتوبة كي نرويها لأحفادنا كخائفين من تاريخ سردنا... نحن نعيد اليوم وكل يوم إنتاج مأس كثيرة قادرة على تزويدنا فقط بأرقام موتانا، الذين يتساقطون في موسم حصاد بشري. هؤلاء الذين أفردنا لهم مبررات للشهادة كي يستحيل عليهم أن يخرجوا، ضحايا حرب، صراع يتجدد في وجدانه بصورة مأساوية تنقسم على أكثر من لعة فينا، وبأكثر من ماض وحاضر ومستقبل عديم.

لنتنا نحتمي بالحياة كما تحتمي بالوت وترحب به من باب نُصرة الحق والقضية والوطن الذي لم تلامسه سوى على قطرات من الدموع الذي يفسد أي سعادة مستقبلية يُمكن أن نلاقها!

نتمنى أن تكتب اليوم باحتفائية عن نيل الكاتبة أروى عبده عثمانكي جائزة «اليسون دي فورج» في النشاط الحقوقي للعام 2014، متعدياً التزامات المقص الضيق لانتقامنا الحزبي والديني.

لنُفكر مثلاً في دعم مشاريع البقاء، كإنجاح جهود مهرجان «تراثي وشعبي» الذي تقيمه الناشطة بليسي الأحمد...

من مدونة جلال غانم الميمية (الجمعة 19 أيلول/سبتمبر 2014)
<http://jalalghanem.blogspot.com/>

المغضوب عليهم

«أظن في حي مراكشي، قبل بأن ساكنيه من «المغضوب عليهم» بعد أن انتشر في ثمانينيات القرن الماضي، خطاب للملك المغربي الراحل الحسن الثاني، يعاتب فيه بشدة بعض الثائرين من مخيري الشعب في العديد من المدن المغربية، ومن بينها مراكش، ويصفهم بـ«الأوباش».

حكى لنا حينها أن مدينتي عرفت أحداثاً مماثلة في الفترة نفسها، شارك فيها سكان أحياء عديدة، لكن أكثر المارك ضراوة كانت جميعاً من «المغضوب عليهم».

وتاريخياً، «غضب» علينا قبل تأسيس الحي، فالقبة الذي سُمينا باسمه، كان طفلاً صغيراً طردته أسرته من منزله مخافة العدوى بعدما أصيب بالجذام، فما كان منه إلا أن سكن غاراً خارج سور مراكش، وعاش هناك طيلة حياته حتى لقوه بـ«مول الغار»، وبقي يحفظ القرآن ويدرس العلوم الشرعية، مما جعل الناس يتعجبون منه ومن قدرته على البقاء وحيداً في ذلك المكان المهجور. ومع وفاته، قدس المراكشيون اسمه وجعلوه واحداً من رجالات المدينة السبعة، وسكنوا جوار ضريحه، مقيمين بنائيات عديدة ومنازل جديدة، صانعين بذلك أول حي مراكشي خارج السور.

أما في زمننا هذا، فما أن تسال عن اسم الحي حتى يجرخوك بأنه المكان البعيد جداً والخطير في مراكش، حيث يجتمع المدمنون والسكارى والمجرمون...»

من مدونة «المغربية» (21 سبتمبر/أيلول 2014)
<http://www.marrokia.com/2014/09/blog-post.html>

مدونات

من الجليل جاؤوا

«من الجليل جاءت. ربما أurd أن لتلقي نبض من غزة، عرفتها إنسانة رائعة، كان اللقاء الأول عبر إذاعة الشمس في حلقة لنقل شهادة امرأة في غزة تعيش الحرب. قبل هذا الموعد كنت قد أزهقت حد الموت، فقد كانت ليلة بشعة لم نغف فيها دقيقة واحدة بسبب القصف... كنا نستضيف عائلتين، جاءت إلينا قبل صلاة الفجر بعد تهديد البيت اللاسق لبيتهم. كان الصغار ملتصقين بأبائهم لدرجة فشلت بدفعهم للجلوس وإراحتهم من الشد والتوقع داخل أحضان أمهاتهم اللواتي توقعن بدورهن على أبنائهن... أما جدهم العجوز ففشل كل محاولاتي لدفعه للزوم فوق الفراش «يا ابنتي هل يستطیع خائف أن يتم!» ساعة ونصف، وجاءت الصواريخ المدمرة التي زلزلت المنطقة، واعتلى الفزع الوجوه. مرة أخرى قصف عنيف، ثم قصف آخر أكثر عنفاً لكن في مكان آخر، أذكر جيداً عائلة الغنم حين استشهد أغلب أفرادها، إلا شباب وحيد بالكاد أخرجوه من تحت الردم. كان البيت ملاصقاً لبيت خالي، وكان الأرق قد نال منا جميعاً. الفجر في العالم كان إعلاناً عن الحياة لكنه في غزة كان يعلن الموت. أصرت العائلات أن ترجع أدرأجها إلى البيت، قتلوا العائلة بعد السحور وهم يحاولون النوم...»

من مدونة «هداية شمعون» الفلسطينية (السبت 20 أيلول / سبتمبر 2014)
<http://hedaya.blogspot.com/2014/09/blog-post.html>